الفصل الخامس

* * *

البحوث التقويمية - نبذة تاريخية

الفصل الخامس
البحوث التقويمية - نبذة تاريخيـة

* * *

يتميز القرن العشرين بالتوجه الجاد والمتزايد من العلماء والمفكرين إلى سبر أغوار الأسس التي يقوم عليها أي مجتمع كاتجاه عام اتسمت به محاولات الإنسان لفهم العالم المحيط به منذ فترات بعيدة في التاريخ، ونحت العلوم الإنسانية والطبيعية هذا المنحى عن طريق استخدام أفضل الطرق المدروسة بعناية للوصول إلى النتائج الصحيحة المرجوة فكانت البحوث التقويمية أحد الأساليب التي اتبعتها هذه العلوم لمعرفة الجدوى من عمل ما، سواء في المجالات الصناعية، أو الاقتصادية، أو التربوية، للوصول إلى أفضل النتائج للخطة الموضوعة لأي عمل في هذه المجالات. ولذلك استحوذ هذا الجانب التقويمي على اهتمام الباحثين وخاصة في العلوم الاجتماعية لتقويم المقدمات المفترضة بعد عرضها على محك الملاحظة والاستقراء لتصل بهذه المقدمات إلى النتائج المنشودة.

وفي بداية الأمر كان لفظ «تقويم» يتجه بالسامع مباشرة إلى أنه مجرد حساب الأيام والشهور أي التقويم الهجري أو الميلادي. ومع تطور العلوم واتساع مجالات المعارف، إنسانية كانت أو طبيعية، بدأ التفكير في الاستفادة من مفهوم التقويم في خدمة العلوم الحديثة ففي عام ١٩٣٥م نشر عالم اجتماع مغمور يدعى فرانكلين Franklin كان يدرس في جامعة صغيرة في جنوب الولايات المتحدة الأمريكية بحثا يدافع فيه عن التقويم التجريبي الذي يتناول البرامج الاجتماعية، وقد طبق عدداً كبيراً من البحوث التقويمية أثناء الحرب العالمية الثانية في مجالات شتى.

وفي عام ١٩٤٩م أصدرت الأمم المتحدة قراراً في اجتماع جمعيتها الرابعة نص صراحة على الاهتمام بتقويم البرامج والمشروعات.

وبدأت بريطانيا الاهتمام بهذا الاتجاه في الأربعينيات والخمسينيات لدرجة أن هذه البحوث التقويمية تم تطبيقها على برامج «تنظيم الأسرة» في آسيا وأمريكا اللاتينية.

وكان للنتائج الإيجابية التي أبرزتها عملية التقويم أثر كبير في عقد المؤتمرات التي تهتم بتطوير وسائل وأساليب وأهداف وأغراض التقويم، ومن بين هذه المؤتمرات كان المؤتمر الذي عقد في جنيف عام ١٩٥٤م.(١)

وفي الستينيات بدأت «البحوث التقويمية» تأخذ شكلا منظما وأسلوبا مدروسا بعناية من خلال الكتب التي كتبت عن طرق «البحث التقويمي» حتى أصبح «البحث التقويمي» عنصراً هاماً وأساساً في كثير من الدراسات حيث بلغت هذه الدراسات في مجموعها عند بداية السبعينيات في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها مايقرب من ٣٠٠ دراسة خلال سنة واحدة تركز كلها على البحوث التقويمية.(٢)

ومن خلال النتائج الإيجابية التي أثرتها عملية «التقويم» في الجانب الميداني في البرامج والمشروعات أخذ علماء العلوم الاجتماعية بالاهتمام بهذا الجانب الميداني بعد أن لاحظوا الدور الفعال الذي تقوم به البحوث التقويمية سواء من حيث منهج البحث وطرقه وأهدافه أو من حيث الأغراض التي يمكن تحقيقها ومدى دقة نتائجها وذلك عن طريق مراعاة التخطيط الشامل والاهتمام الدقيق بتسجيل النتائج

---

١) وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، تقويم مركز الخدمة الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية، مركز التدريب والبحوث، ١٣٩٥هـ، ص ١٤.

2) UNESCO op.cit., PP. 11 - 15.

واستمرار عملية التقويم وملاحظتها بعناية، وكذلك استخدام عملية القياس الموضوعي وتعدد أدواته التي من أهمها: الاختبارات، الملاحظة، المقابلة، التسجيلات.[١]

ومن هذا المنطلق أخذت العلوم الاجتماعية في الاستفادة من عملية التقويم في دراساتها، لتحديد الطريقة التي يتم بواسطتها تنفيذ البرامج، وماإذا كان هذا التنفيذ يتم بالطريقة المتوقعة أو على خلاف المتوقع، ومن ثم يتم تقدير آثار البرامج الموضوعة على الجماعات المستهدفة في مجال طرق البحث الاجتماعي، مستفيدة من الأسئلة التي حددها «روثني Rothney» لتحديد مجالات عملية التقويم وهي:

١ - ما الذي ينبغي أن نقوّمه ؟

٢ - كيف ينبغي أن نقوّم ؟

٣ - متى ينبغي أن نقوّم ؟

٤ - من ينبغي أن يقوّم ؟ [٢]

نماذج التقويم Evaluation Models :

إن مايواجه عملية التقويم هو قياس العائد الاجتماعي من حيث الفاعلية وكفاية البرامج للأعضاء المستفيدين من خدمات المؤسسات الشبابية، وإن التقسيم التالي «لعملية التقويم» هو عنصر من عناصر التقريب ووضع الاحتمالات الراجحة التي يمكن أن تحقق الأهداف المرجوة.

وهناك ثلاثة نماذج للتقويم من حيث عملية تنفيذ البرامج، وهي: قبلي،

---

١) سلمان أحمد عبيدات، القياس والتقويم التربوي، الطبعة الأولى، (بدون معلومات عن الناشر)، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ٧٢.

٢) محمد صبحي حسانين، التقويم والقياس في التربية البدنية، المرجع السابق، ص ٤٩.

مرحلي، بعدي[1]

التقويم القبلـــي :

يقوم الباحث الذي ينتهج هذا النموذج بتوصيف الموقف والاختبار المبدئي، ويعتمد على المنهج التجريبي ويركز عند توصيف الموقف على معرفة موقف الأعضاء المشتركين في المؤسسة أو موقف المؤسسة نفسها أو قنوات الاتصال المتمثلة في البرامج والخطط. وهذه الاتجاهات الثلاثة تتكامل لتعطي توصيفاً للموقف المراد تقويمه. وكل اتجاه من هذه الاتجاهات الثلاثة له أساليبه المنهجية التي يعتمد عليها، فالاتجاه الأول يستخدم الاستقصاء لتحليل عدد من المتغيرات ذات العلاقة بالموقف، أو تحليل الآراء والاتجاهات الموجودة.

أما الاتجاه الثاني فيستخدم المنهج التاريخي وتحليل المضمون إلى جانب الملاحظات العلمية.

وأما الاتجاه الثالث، فيستخدم الاستقصاء وتحليل المضمون كل على حده، حسب نوعية البرنامج.

وهذه الاتجاهات مرتبطة بعضها بالبعض وليست مقيدة بالتركيز على اتجاه دون آخر لأن ذلك يؤثر على النتائج وعلى هذا النوع من التقويم كذلك.

---

1) Morell, A. Jonthan, Program Evaluation in Social Research Pregamon Press U.S.A. 1979, pp. 6-26.

التقويم المرحلي :

وهو يوفر للعلماء التأكد - بصفة دورية ومنتظمة - مما قد يحدث من احتمالات غير متوقعة ويعطي مؤشرات دائمة توضح مدى دقة التخطيط ومدى ملاءمة التنفيذ وهذان العنصران يسهلان عملية إجراء التعديلات اللازمة بالكم والنوعية في الوقت المناسب.

وهذا النموذج يستخدم في عملية تنفيذ البرامج ويتخذ أساليب منهجية عدة حسب حالة الدراسة مثل قياس الأداء في الأعمال الإدارية والفنية والملاحظة العلمية والاستقصاءات.

التقويم البعدي :

وهو يجمع بين قياس مدى الفوائد العملية والعلمية ونوعيها معا من خلال التركيز على نوعية الموقف والبرنامج، وهذا النموذج يدرس الآثار والنتائج التي خلفها برنامج أو نشاط معين على اتجاهات الأعضاء المستفيدين من نشاطات المؤسسة وهو بذلك يفسر خلاصة كل ما انتهى إليه كل من النموذجين القبلي والمرحلي، وسبيله استخدام الأساليب المنهجية حسب إمكانات المؤسسة ونوعية الخطط عن طريق الاستقصاءات أو تحليل المضمون.

كما توجد تصنيفات أخرى لنماذج التقويم، وهي : التقويم الموضوعي، التقويم الذاتي.[١]

أولا - التقويم الموضوعي :

ويعتمد على الأساليب الإحصائية والمعايير كأساس للحكم من داخل الظاهرة موضوع التقويم وليس من خارجها، وتأخذ الصبغة الكمية في أغلب الأحوال وتتحدد في ضوء الخصائص الواقعية للظاهرة ولها عدة

---

١) محمد صبحي حسانين، مرجع سابق، ص ص ٢٦ - ٢٩.

أوجه :

١ - المستويات : وتختلف عن المعايير من حيث إنها تأخذ الصورة الكيفية والتحديد في ضوء مايجب أن تكون عليه الظاهرة.

٢ - المعايير : وتعتمد على عملية التقنين، وتركز على الأساليب الإحصائية.

٣ - المحكات : وهي تأخذ الصورة الكمية أو الشكلية وتعد من أفضل الوسائل المستخدمة في الحكم على صدق الاختبارات في مدى تحقيق البرامج للأهداف التي وضعت من أجلها والنسبة التي حققتها.

ثانيا - التقويم الذاتي :

وهو الذي يقوم بالتركيز على الذات أي أن أحكام الفرد تكون بقدر ارتباطها بذاته، وتعتمد في إصدار هذه الأحكام على معايير ذاتية مثل المنفعة أو الألفة أو اعتبارات المكانة الاجتماعية أو سهولة الفهم والإدراك، وقد تكون أحكام الفرد في صورة قرارات سريعة لايسبقها فحص وتدقيق كافيان لمختلف جوانب الموضوع المقدم. وهذه الأحكام يمكن أن نسميها آراء أو اتجاهات كما إنها تتصف أحيانا بكونها لاشعورية.